(1) تهجير الفلسطينيين.. بدايات الحلم الصهيوني

2023/12/23

ظلت الهجرة اليهودية إلى فلسطين محدودة وذات طابع ديني حتى الثمانينات من القرن التاسع عشر. وبعد عام 1881، وعلى أثر اغتيال قيصر روسيا واندلاع مذابح جماعية ضد اليهود، قامت هجرة يهودية واسعة من روسيا وأوروبا الشرقية، اتجه قسم منها إلى فلسطين بهدف الاستيطان وإقامة المستعمرات الزراعية فيها.

في تلك الفترة ، بدأت الحركة الصهيونية بالظهور كحركة سياسية استعمارية على يد عدد من يهود أوروبا وأصدقائهم من البريطانيين، وأخذت تطالب بوطن قومي لليهود في فلسطين. وقد ساعدهم على ذلك مجموعة من الظروف التي كانت سائدة في تلك الفترة وأهمها عطف بريطانيا على الصهيونية لأسباب استعمارية ترتبط بحماية مصالحها، وحالة الفساد والضعف التي وصلت إليها الدولة العثمانية، وبعض السياسات والإجراءات التي قامت بها بعض دول أوروبا (مثل فرنسا والنمسا وروسيا) ضد اليهود، مما ساعد على تكتل اليهود حول الحركة الصهيونية التي كانت تسعى لتجمعهم في كيان صهيوني واحد على أرض فلسطين العربية.

وفي عام 1897 انعقد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا، وتم خلاله تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية، كما تم إنشاء الصندوق القومي اليهودي بهدف شراء الأراضي وتطويرها واستيطانها. وفي عام 1911 تم إنشاء شركة تطوير الأراضي المحدودة لفلسطين، والتي كانت تقوم بشراء الأراضي لليهود ولحساب الصندوق القومي اليهودي الذي أصبح فيما بعد يمتلك 90% من مجموع الأراضي التي تم استملاكها بواسطة اليهود.

وقد تزايدت حركة الهجرة إلى فلسطين خلال تلك الفترة حيث بلغ عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين خلال الفترة 1882-1904 حوالي 25 ألف مهاجر، وزاد خلال الفترة 1904-1914 بحوالي 40 ألف مهاجر جديد. كما زاد عدد المستعمرات اليهودية في فلسطين من 5 مستعمرات عام 1882 إلى 22 مستعمرة عام 1900 ثم 47 مستعمرة عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى.

وفي 2 تشرين ثاني 1917، أصدرت بريطانيا وعد بلفور الذي كان له أثر كبير على تسهيل وتشجيع حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين خلال فترة الانتداب البريطاني لاحقاً. وقد كان هناك عدد من الأسباب التي دعت بريطانيا لإصدار هذا الوعد المشؤوم أهمها النفوذ الصهيوني الكبير في بريطانيا، وحاجتها لكسب دعم اليهود لها في بعض البلاد الأوروبية وخصوصا ألمانيا والنمسا والمجر، ورغبة بريطانيا بحماية مصالحها في المنطقة العربية، وخصوصا قناة السويس، وفي

تأمين طريق الاتصال بينها وبين مستعمراتها في الشرق. في ذلك الوقت، كان العرب يشكلون حوالي 93% من مجموع سكان فلسطين بينما كان اليهود يشكلون نسبة لا تتجاوز 7% من مجموع السكان.

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عام 1918 وانتصار الحلفاء على دول المحور، عقد مؤتمر الصلح في باريس عام 1919، والذي اتفقت بريطانيا وفرنسا خلاله على تعديل اتفاقية سايكس بيكو حيث تنازلت فرنسا عن الموصل لبريطانيا ووافقت على وضع فلسطين تحت سيطرة بريطانيا مقابل أن تطلق الأخيرة يد فرنسا في سوريا ولبنان. وفي 25 نيسان 1920، اجتمع المجلس الأعلى للحلفاء في سان ريمو بإيطاليا، واتفقوا على أن تكون العراق والأردن وفلسطين تحت الانتداب البريطاني، وأن تكون سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي. كما اقر المجلس "صك الانتداب" البريطاني على فلسطين والذي اشترك اليهود الصهاينة في وضعه، وتم تكليف هربرت صموئيل كأول مندوب سام لبريطانيا في فلسطين. ويعتبر هربرت صموئيل، اليهودي الأصل والإنجليزي الجنسية، أحد زعماء الصهاينة الذين أخذوا على عاتقهم ليس فقط تطبيق وعد بلفور، وإنما جعل فلسطين يهودية كما هي إنجلترا إنجليزية وفرنسا فرنسية. وقد استعان في إدارة البلاد ببعض الشخصيات اليهودية الصهيونية ممن هم على شاكلته، وعمل كل ما في وسعه لتهويد أجهزة الحكم في فلسطين، ووضع أول قانون للهجرة إلى فلسطين مما ساهم في فتح باب الهجرة واسعا أمام اليهود، وقام بتقليص حجم الملكية بالنسبة للعرب وعمل على إخراجهم من أراضيهم من خلال رفع الضرائب على الأملاك، وألغى القوانين العثمانية التي كانت تمنع اليهود من امتلاك الأموال غير المنقولة في فلسطين، وسنّ بدلا من ذلك تشريعات جديدة تساعد اليهود على امتلاك المزيد من الأراضي مثل قانون انتقال الأراضي رقم 39 لعام 1920، ومنح الشركات اليهودية (كالبوتاس والكهرباء) آلاف الدونمات مجانا.